جامعة الأنبار
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

شعر الخليل بن احمد الفراهيدي

(دراسة نقدية)

إعداد

نصرة أحميد جدوع

شباط 2001

المقدمة :

كثيرة هي القضايا التي تتعلق بالنثر كما إن قضية الدافع لقول الشعر تحدد النمط الذي يسير عليه المنشئ ، فإذا كان الدافع نابعا من إدراك الوظيفة الجمالية التي يضطلع بها الشعر بوصفه فنا فان دراسته تقتضي اقتفاء النهج الذي يركز على الجوانب الفنية ، غير أن الشعر الذي تتناوله هذه الدراسة قد لا ينطوي على الكثير من السمات الفنية لأنه نتاج رجل عالم ساعدته بصيرته اللغوية ومعرفة قوانين النظم من أوزان وقواف على قرض مجموع شعري لم يتجاوز السمة المقطعية إن صح التعبير إذ أن قوام شعره كان مقطوعات قصيرة شكلت ديوانا صغيرا . وقد افدنا مما جمعه أ . د . حاتم الضامن من شعر الخليل بن احمد الفراهيدي ضمن مجموعة لعشرة شعراء وبأسلوب يطمئن الباحث إلى سلامة أراضية الدراسة ما دامت من صنع باحث فذ كالأستاذ الضامن .

ولرب سائل يسأل ، لماذا شعر الخليل بن احمد دون غيره ما دام لا يتصف بالحس الفني الذي يتصف به كثير جدا ممن سواه من الشعراء ؟

والإجابة تكمن في محاولة إثبات الهدف العلمي الذي توخاه الخليل في قرضه للشعر فهو لم يقل رغبة و لا رهبة ولا دفعته إليه موهبة فذة لكنه جاء موافقا لمسعاه المعروف في حصر الأوزان التي نظم عليها الشعر العربي وهي قوام (علم العروض) الذي تكفل بوضع أسسه واليه ينسب الفضل في ذلك ، وهذا الدافع وحده كافيا لبحث شعره والتواصل من خلال الدراسة الأسلوبية والموضوعية إلى إثبات هدف البحث .

وقد حاولت بعد دراسة السمات الأسلوبية والموضوعية لشعره أن ابحث في صحة ما نسب إليه و إلى غيره من الشعراء في ملحق المجموع الشعري له وترجيح وجهة نظر أفرزتها الدراسة ونتائجها .

والأمل كبير بالله وتوفيقه في المسعى الذي بذلت والحمد لله أولا و أخراً .

الباحثة

الشاعر

هو الخليل بن احمد بن عمرو بن تيم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ابو عبد الرحمن [1] .
ويعد من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض الذي أخذه من الموسيقى وكان على معرفة بها [2] .

وهو أستاذ سيبويه النحوي المعروف كانت ولادته في البصرة سنة 100 هجرية، عاش حياة الفقر و الكفاف وكان أشعث الرأس شاحب اللون متمزق الثياب متقطع القدمين مغموراً غير معروف [3] .

له مؤلفات عديدة منها كتاب العين المعروف وهو أول معجم لغوي سماه العين على حرف المعجم الصوتي الأول .

و من مؤلفاته الأخرى (معاني الحروف) و (النقط والشكل) و (النغم) و غيرها [4] .
وواضح من سيرته انه كان زاهداً لم تغره الشهرة بالاتصال بأي خليفة أو أمير على غرار ما كان يفعله اكثر العلماء من التسابق إلى المجالس للفوز بفرصة تأديب أولاد الخلفاء والأمراء والولاة وتعليمهم كالكسائي وغيره ولابد أن ينعكس هذا الزهد على توجهه الفني في سياق شعره الذي تهدف هذه الدراسة إلى بيان جوانبه الفنية والموضوعية .

أولا : السمات الأسلوبية لشعر الخليل .

---

[1] - ينظر معجم المؤلفين 112/4 ، وتأريخ بغداد /3319 .
[2] - ينظر الأعلام 363/2 .
[3] - ينظر المصدر والصفحة نفسهما .
[4] - ينظر علم العروض والقافية / 5 .

1- اللغة الشعرية

اللغة أساس أي خطاب،وبالنسبة للخطاب الشعري فإنها تمتلك مواصفات خاصة تقوم على أساس أهمها الملائمة بين اللفظ و المعنى الذي يؤديه [1] .

وفي هذا المجال يمكن تمييز نمطين للغة الشعرية :

أولهما : لغة الشعر المطبوع .

الثاني : لغة النظم .

والأولى ذات طابع تعبيري يقوم على العمق والإيجار لأن الشاعر يصبح عنده معجم تعبيري عفوي يقوم إبداعه في جانب منه على دقة المفردات و التراكيب وحسن اختيارها و هذا يتطلب الموهبة الفذة التي يساندها حضور البديهة و القدرة على تشكيل المعنى في سياق شعري[2] أما النمط الثاني من اللغة الشعرية فهو خاص بالشعراء الذين يمتلكون المقدرة التقنية التي تتعلق بالجوانب الشكلية من وزن وقافية وقابلية على خلق توازن لا يخلو من السمة الشعرية لكنه لا يمثلها تماما هذا إذا ما سلمنا بأن للشعر جانبين ، تقني وفني يتعلق أولهما بالأوزان والقوافي والثاني بالصور والأخيلة التي تحقق أكبر قدر من البعد الجمالي للنص .

ومن خلال تأمل عموم شعر الخليل الذي تستهدفه الدراسة وجدنا إمكانية تصنيفه ضمن النمط الثاني لأنه حقق الأوجه التقنية واستوفى المواصفات الشكلية ولا يكاد يحقق الأبعاد الفنية إلا بمستوى ضئيل في بعض نماذجه .

ويبدو أن الخليل بوصفه عالما عروضيا معروف الشأن قد أفاد من خبرته في الشعر وقواعده فيما أخرجه من نتاج شعري .

وعلى مستوى لغة شعره وجدنا أن أهم ميزاتها تتمثل بالبساطة والوضوح فهو يؤثر استخدام المفردات الواضحة التي تميل بشعره إلى الكلام المنثور المتناول في حوارات وأحاديث العلماء من ذلك قوله :

العلم يذكي عقولا حين يصحبها وقد يزيدها طول التجاريب

وذو التأدب في الجهال مغترب يرى ويسمع ألوان الأعلجيب [3]

وقوله كذلك

---

[1] ينظر موسيقى الشعر /22 .

[2] نفسه /13 .

[3] شعره (ضمن كتاب عشرة شعراء مقلون) / 22 .

إن لـــم يكـــن لـــك لحـــم كفـــاك خـــل وزيـــــت

أو لـــــم يكـــــن ذا وهـــــذا فكســـــــرة وبييـــــــت

تظـــــــل فيـــــه وتـــــأوي حتـــى لـــم يجيئـــك مـــوت

هـــــذا عفـــــاف وأمـــــن فـــــلا يغـــــرك ليـــــت [1]

وقوله أيضا :

كتبت بخطي ما ترى فـــي دفـــاتري عن الناس في عصري وعن كل غابر

ولـــولا عزائـــي إنـــه غـــير خـــالد على الأرض لاستودعته في المقابر [2]

ولا يمكن أن نصف شعره بالجزالة أو متانة اللفظ على الرغم من خلـــوه مـــن اللحـــن وعيوب الخطأ اللغوي سواء في مفرداته أم تراكيبه ، ويبدو أن عدم توفر الموهبـة الشـعريـــة الحقيقية سبب أساس في ذلك ، ثم إن طبيعة المعاني والموضوعات التي يتناولها فـــي عمـــوم شعره كانت سببا آخر في ذلك ، وتقوم اللغة الشعرية عنده على أسلوب يشبه التقـابل المعنـوي حيث يؤدي شطر المعنى الأول (الذي يكون في صدر البيت عادة) إلى المعنى الآخر المقـــابل (الذي يستكمل في عجز البيت) وعلى هذا الأساس قالت العديد من مقطوعاته وأبياته، من ذلك قوله:

فقلت وما تغنـــي الديـــار وقربـــها إذا لم يكن بين القلـــوب قريـــب [3]

وقوله :

وقبلـك داوى المريـــض الطبيـــب فعاش المريض ومـات الطيـــب

فكـــن مســـتعداً لداعـــي الفنـــاء فإن الـــذي هـــو آت قريـــب [4]

---

(1) شعره / 0224
(2) نفسه / 0227
(3) نفسه / 0222
(4) نفسه / 0223

وقوله في موضع آخر:

أنست بوحدتـــي ولزمــت بيتــي فطاب الأنس لي ونما الســـرور

فـــأدبني الزمـــان فـــلا أبـــــالي هجرت فـــلا أزار ولا أزور[1]

وقوله :

مطايا يقربن الجديـــد إلـــى البلـــى ويدنين أشلاء الكريم إلى القبر[2]

إن قيام البيت الواحد على فكرة واحدة ساعدت على شيوع ظـــاهرة النثريـــة والبســـاطة المفرطة في شعره الذي بدا في الكثير من نماذجه أقرب إلى الجملة الواحدة التي قســـمت إلـــى شطرين متساويين ويؤكد ذلك أيضا قصر أغلب مقطوعات شعره مما سهل عليه أمـــر القافيـــة الموحدة .

وتستمر سمة المباشرة والتقريرية مسيطرة على شعره لتؤكد ضعف الموهبـــة الشـــعرية عنده ، والقطعة الآتية تؤكد ذلك حيث يقول :

نصحتـــك يـــا محمد إن نصحـــي رخيص يـــا رفيقـــي للصديـــق

فلم تقبـــل وكـــم مـــن نصـــح ود أضيع فحاد عن وضح لطريق [3]

وأشباه ذلك في شعره كثير .

ومما يؤشر الضعف في الموهبة لجوئه إلى السير على طريقة المتصوفة (إن لـــم يكـــن كذلك) في عامة أشعارهم فقام بعض شعره على الجدل و المراوغة الأسلوبية التي تقوم علـــى التلاعب بالألفاظ بسبب ضعف المقدرة الشعرية من ذاك قوله :

إذا كنت لا تدري ولم تك كـــالذي يشاور من يدري فكيف إذا تـــدري

جهلت فلم تـــدري بـــأنك جـــاهل وإنك لا تـــدري بـــأنك لا تـــدري

ومن اعظم البلوى بـــأنك جـــاهل فمن لي بان تدري بأنك لا تـــدري

رب امرئ يجري ويـــدري بانـــه إذا كان لا يدري جهول بما يجري [4]

وقوله :

---

[1] - شعره / 0226

[2] - نفسه / 0227

[3] - نفسه / 0230

[4] - نفسه / 0260

لو كنت تعلم ما أقــول عذرتنــي أو كنت تعلم مــا تقــول عذلتكــا
لكــن جــهلت مقــالتي فعذلتنــي وعلمت أنــك جــاهل فعذرتكــا[1]

فهو في هذه النماذج يدور حول فكرة معينه في كل منها ولا يتجاوزها حتى ليبدو أنه يكرر الكلام في الأبيات ويمكن اختصاره ببيت أو نصف بيت حتى ، على أن المد اتلديني وشخصيته الورعة كان لهما أكبر الأثر في ذلك ويمكن القول أن المد الأخلاقي والديني يطغى على عموم شعره ويتضح ذلك أكثر في أشعاره التي يذكر فيها السلف الصالح كما سيظهر لاحقاً .

وله قطعة شعرية واحدة مثيرة في هذا الجانب إذ ترتبط بفكرة واحدة وتبدو كأنها قطعة نثرية مترابطة الأجزاء وقد أستعمل في نهاية كل بيت مفردة أو تركيب يسكون بمثابة رابط مع البيت الذي يليه يقول فيها :

يا ذاالذي في الحب يلحى أما والله لو حملت منه كـــــما
حملت مــن حب رخيم لــما لمت على الحب فدعني وما
أطلب إني لســـت أدري بما أحببت أننـــــــي بينـــــــما
أنا بباب القصر في بعض ما أطلب من قــصرهم إذ رمى
شبه غزال بســـهام فـــــما أخطأ ســـــهماه ولكنـــــما
عيناه ســـهمان له كلـــــما أراد قتلي بهما سلـــــــــــما[2]

ومن سمات شعره الأخرى في جانب أسلوبه ولغته الشعرية ميله إلى التفصيل والتقسيم من ذلك قوله :

إن الخليط تصــدع فطر بدائك أوقــع
لولا جوار حســان حور المدامع أربع
أم البنين وأســماء والرباب وبــوزع
لقلت للراحل أرحل إذا بـــــدا لك أودع[3]

وقوله من قطعة له :

وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم[4]

وقد تقوم القطعة الواحدة على بنية أسلوبية موحدة في جميع أبياتها وهو مؤشر أكيد على ضعف الموهبة ، من ذلك قوله :

وما بلغ الأنعام في النفع غــاية من الفضل إلا مبلغ الشكر أفضل
وما بلغت أيدي المنيلين بــسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
وما رجعت بالمرء يوماً صنيعة على المرء إلا وهي بالشكر أثــقل[5]

---

(1) شعره / 230 .
(2) نفسه/ 235 .
(3) شعره / 229 .
(4) نفسه / 234 .
(5) نفسه / 231 .

فابتداء الأبيات الثلاثة بأسلوب موحد (وما) ثم اختتامها بأسلوب الاستثناء بـ (إلا) وبعدها مفردة واحدة (الشكر) واختتام الأبيات بأفعال تفضيل موحدة الوزن يجعل من التكرار الأسلوبي حالة تؤشر الضعف إذ إن الأبيات الثلاثة أعلاه تمثل مجمل القطعة الشعرية رقم (35) في شعره .
وكذلك قوله :

إن لم يكن لك لحم كفاك خل وزيت
أو لم يكن ذا وهذا فكسرة وبـــييت[1]

وقوله :

لا يكون السري مثل الدنـــــي لا ولا الذكاء مثل الغـــبي
لا يكون الألد مثل المقول المر هف عند القياس مثل العيي[2]

2- الموسيقى الشعرية :

أما فيما يخص الجانب الصوتي المتعلق بموسيقى الشعر وإيقاعه فنجد ميلاً واضحاً في شعر الخليل إلى استخدام الإيقاع الهادئ إنطلاقاً من بساطة الأفكار وطبيعة اللغة التي استخدمها ، وكان للمسات الموضوعية من إيثار لموضوعية الحكمة والنصح والنفس الزهدي الواضح أثرها في هذا الطابع الهادئ لموسيقى أشعاره ، يضاف إلى ذلك الملامح والمواصفات الشخصية للخليل نفسه ، التي انعكست على أسلوبه وإيقاعه وكان من الممكن أن يؤدي هذا النمط الإيقاعي إلى الرتابة لولا أن أغلب شعره كان عبارة عن مقطعاته إذ إن أطول قطعة في الديوان تتألف من تسعة أبيات فقط والتي مطلعها

لا يكون السري مثل الدني لا ولا الذكاء مثل الغبي[3]

ويؤكد قصر أشعاره سمة الضعف الفني وضعف الموهبة التي أشرنا إليها سابقاً إذ تعكس قصر النفس الشعري عنده .
ومن السمات الصوتية المتعلقة بالأوزان والتي تؤكد الهدف العلمي المشار إليه آنفاً استخدام جميع الأوزان التي توصل إليها من خلال جهوده المعروفة في حصر أوزان الشعر العربي ، تلك المحاولة الرائدة التي سجلت الخليل واضعاً لعلم العروض العربي[4] .
ألمر الذي يؤكد أن قرضه للشعر إنما كان لغاية تطبيقية بحتة يؤكد فيها سمات الأوزان وأشكالها وتفعيلاتها في مصاف الشعر التعليمي ، ثم إيثاره لموضوعات الزهد والحكمة وموضوعات بسيطة أخرى تناولها في شعره ، ولا يمنع ذلك من القول أنه نظم القليل من الشعر لغايات غير الغاية التعليمية تلك من ذلك قوله :

إن الذي شق فمي ضامن الرزق حتى يتـــــــوفاني
حرمتني خيراً كثيـــــراً فما زادك في مالي حرمان[5]

---

[1] نفسه / 224 .
[2] شعره / 237 .
[3] نفسه / 237 .
[4] ينظر في ذلك التمهيد عن حياته .
[5] شعره / 236 .

إذ يبدو هذان البيتين وكأنهما تظلم من جور أو أذى تعرض لهما كما إن فيهما حساً زهدياً وقناعة متفجرة في وجه تحد دنيوي ، ومثل قوله :

وخصلة يكثر الشيطان إن ذكرت منها التعجب جاءت من سليـــــــمانا
لا تعجبن لخير زل عـــــن يده فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا[1]

وبنظرة احصائية سريعة لشعره نجد أنه ، أكثر من استخدام البحور الشائعة في الشعر العربي حيث نظمت تسع من مقطعاته على البحر الوافر والكامل وثمانية على البسيط وسبعة على الطويل وستة على السريع وتوزعت بقية أوزان شعره بواقع 1 – 3 مقطوعات لكل وزن .
غير أن الملفت للانتباه في أشعاره أنه نظم مقطوعتين على الوزن المسمى (المتدارك) الذي ادعى بعض الباحثين أنه لم يتوصل إليه بنفسه إن الأخفش هو الذي توصل إليه فسمى متداركاً لذلك[2].

وتعليل ذلك قد يرجع إلى أحد أمرين :
- أن لا صحة للرأي القائل بتدارك الأخفش لهذا البحر .
- أن يكون الخليل قد توصل إليه حقاً غير أنه يسميه باسم آخر أو أنه أدخله مع بحر آخر بوصفه مجزوءا أو قد يكورا بحرا معروفا غيرت العيوب والزحافات والعلل العروضية ملامحه .
وأما القوافي التي مال إلى استخدامها فقد تصدرت قافيتا الراء واللام شعره وبواقع عشرة مقطعات لكل منها تتراوح بين 1 – 8 بيت في عدد أبياتها تليهما قافية الباء ست مقطعات ثم التاء والميم بأربع مقطعات وتوزعت باقي المقطعات على قواف أخرى .
وقد مال في الكثير من قوافيه إلى التسكين والإطلاق فجاءت ثماني قوافي ساكنة وعشر قواف مطلقة مما يؤكد مرة ثانية الهدف التعليمي التطبيقي إذ قد يكون لجأ إليها لأسباب تتعلق بالوزن ومتطلباته .

ثانياً : السمات الموضوعية لشعر الخليل .

للخليل أربع خمسون قطعة شعرية تتراوح في عدد أبيتها بين 1 – 9 أبيات ومجموع أبيات مجموعه الشعري 152 بيتاً .
وقد تصدرت موضوعات الحكمة والزهد أشعاره ، وكنا قد رجحنا الغاية التعليمية وطبيعة شخصية الخليل أسباباً رئيسية في ذلك ، من ذلك قوله :

العلم يذكي عقولاً حين يصحبها وقد يزيدها طول التجـاريب
وذو التأدب في الجهال معـترب يرى ويسمع ألوان الأعاجيب[3]

وقوله :

حسبك ما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت[4]

---

(1) شعره / 236 .
(2) ينظر فن التقطيع الشعري والقافية / 153 ، وذكر بعض الباحثين أن البحر الذي زاده الأخفش هو الخبب ولم يرد ذكره مصطلح (المتدارك) ، ينظر علم العروض والقافية / 7 .
(3) شعره / 222 .
(4) نفسه / 224 .

وقوله :

يعيش المرء في أمل يردده إلى البـــــــد
يؤمل ما مؤمل مـــن صنوف المال والولد
ولا يدري لعـل المـو ت يأتي دون بعد غد
فلا يبـــــقى لـــوالده ولا يبـــقى على ولد[1]

وفي القطع الثلاث زهد واضح وإيثار لجانب طلب العلم في القطعة الأولى التي تبدو بديلاً مناسباً بالنسبة له إذا ما قورنت بالقطعتين اللاحقتين وهو يظهر قناعة رجل الدين العالم الذي قضى عمره منكباً على الدرس وتحصيل العلم ويبدو ناصحا واعظا في جانب آخر من أشعاره ومنها قوله :

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم بطون إذا استنجدتهم وظهور
وما بكثير الف خل لعـــــــــاقل وإن عدوا واحدا لـــــكثيـرا[2]

ومما يخص فيه على طلب العلم وحسن التصرف اتخاذ القدوة الحسنة في العلم والعمل قوله :

اعمل بعلمي وان قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري
وانظر لنفسك فيما انت فاعـــــــله من الأمور وشمر فوق تشميـــري[3]

ومن زهدياته أيضاً :

وهذا المال يرزقه رجـــــال مناديل إذا اختبروا فسول
ورزق الخلق مجلوب إليـهم مقادير يقدرها الجـــــليل
كما تسقى سباخ الأرض ريا ولا بالمال تقتسم العقـــول[4]

وقوله :

غر جهـــــولاً أمله حتى يوافي أجلـه
ومن دنا من حتفـــه لم تغن عنه حيلـه
ولا يصحب الإنسان من دنياه إلا عمله[5]

ويطرق في شعره بعض الغزل الذي ينم بالعفة وإيثار النزعة العذرية التقليدية الأسلوب من الشكوى من الصبابة ومقارعة اللوم والسهام التي تصيب قلب العاشق من عينى محبوبكالغزالة ، يقول :

ياذا الذي في الحب يلحى أما والله لو حملت منه كـــــما
حملت من حب رخيم لـــــما لمت على الحب فدعني وما[6]

---

(1) شعره / 225 .
(2) نفسه / 266 .
(3) نفسه / 227 .
(4) نفسه / 232 .
(5) نفسه / 235 .
(6) نفسه / 235 .

وقوله ناهياً النفس عن الصبابة :

ألا ينهاك شيبك عن صباكـا وترك ما أضلك من هواك
أترجو أن يعطيك قلب سلمى وتزعم أن قلبك قد عصاكا[1]

وقوله :

أتبكي بعد شيب قد علاكـــا ولا ينهاك شيبك عن بكـاكـا
فهلا إذا أبكيت على التصابي بكيت على الصبابة في صباكا[2]

والقطعتان السابقتان فصلتا في مجموع شعره وكلاهما من الوافر ، وأغلب الظن أنهما قطعة واحدة إذ أنهما متحدتا الوزن والقافية المطلقة على الكاف ثم وحدة الموضوع فالفكرة المحورية لهما تدور حول الصبابة والمشيب ونهي القلب عن التصابي بعد أن مضى زمن الشباب .
كما نلمس في ثنايا شعره ميلا إلى أسلوب المتصوفة في اشعارهم القائمة على المغالطات المعنوية والتعقيد والالتواء كما مر في بحث السمات الأسلوبية من ذلك قطعته التي مطلعها :

ان كنت لا تدري ولم تك كالذي يشاور من يدري فكيف إذا تدري[3]

كما تبدو ملامح إيثار حياة الزهد والتقشف واضحة في جانب من أفكاره التي حملها شعره وتفصح عن نفس مطمئنة قانعة من ذلك قوله :

أنست بوحدتي ولزمت بيتي فطاب الأنس لي ونما السرور
فأدبني الزمان فلا أبـــالي هجرت فـــلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حيـــا أسار الجيش أم ركـــب الأمير

وقوله أيضا :

ما أسمـج النسك بســال واقبح البخل بـذي المــال
واقبـح الثروة ما لم تكن عند أخــي جـود وأفضـال

ومن الموضوعات التي طرقها على قلة الهجاء ، وله قطعة تحمل نفساً هجائياً ممزوجاً بالحس الزاهد القانع من خلال عرضه مقارنة للقيم بينه وبين شخص يسميه (سليمان) وقد حوله في شعره إلى فكرة ومنطلق يؤكد من خلالها فلسفته في الحياة ، كما ان له أبياتاً ينحو فيها منحى تقليدياً يميل فيها إلى ذم البخل من غير فحش أو تجاوز تماشياً مع سمات شخصيته الورعة التي ظهرت بوضوح في مجمل شعره ، يقول في سليمان :

---

(1) شعره / 230 .
(2) نفسه / 231 .
(3) نفسه / 266 وينظر القطعة (31) / 230 من شعره في السياق نفسه .

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
سخي بنفسي إني لا أرى أحدا يموت هزل أو لايبقى على حال
ولإن بين الغنى والفقر منزلة مخطومة بجديد ليس بالبالـــي[1]

حتى يقول

إن كان ضن سليمان بنائلـــــــه فالله أفضل مســـــــؤول لسؤال
والقصر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
والمال يغشى أناس لا خلاق لـــــهم كالسيل يغشي أصول الدنن البـالي[2]

ويتنفس شيئاً من الابداع في هجائه الساخر منه بالقول :

كفاك لم تخلقا للنـــــدى ولم بخلهما بـــــدعة
فكف عن الخير مقبوضة كما نقضت مائه سبعة
وكف ثلاثة آلافـــــــها وتسع مئيها لها شرعة[3]

ثالثاً : ما نسب إليه والى غيره .

" محاولة في الترجيح"

الحقت بشعره خمس مقطوعات شعرية مختلف في نسبتها إليه وبعد أن تقدمت دراسة السمات الأسلوبية والموضوعية يمكن عن طريق مقارنة هذه المقطوعات بما تقدم أن نبت في أمر صحة نسبتها إليه أو إلى غيره وكما يأتي :

1- القطعة الأولى :

وتتألف من ثلاثة أبيات هي :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي لا بد من زورة من غير ميـــعاد
زره فليس له شبه يعـــــــادلـــه من منزل حاضر إن شئت أو بـاد
تفنى قراميره والعيس واقفـــــــة والنون والضب والملاح والحادي[4]

وتتلخص فكرة هذه الأبيات في حث الشاعر لنفسه على زيارة هذا الموضع الذي لا يشابهه موضع على الأرض الآن وفي الماضي ، وهي فبى أسلوبها العام وما تطغى من الحنين الذي لا لا يتجاوزه الشاعر إلى وصف حبيب والتغزل بمحاسنه ثم هذا النمط الذي مر بنا من ما أسميناه بالمقابلة المعنوية التي تميز أسلوبه وهو هنا في قوله (زر وادي) و (لا بد من زورة) وقوله (ليس له شبه) و (إن شئت أو باد) ثم السمة النثرية الخطابية التي تطف على الأبيات وإيقاعها الهادئ الرتيب .... كل هذه المؤشرات تبدو أقرب إلى أسلوب الخليل الشعري من غيره ، مما يرجع نسبة القطعة إليه .

---

(1) شعره / 233 .
(2) نفسه / 233 .
(3) نفسه / 230 .
(4) نفسه / 392 .

2- القطعة الثانية :

وتقع في بيتين هما قوله :

إن كنت لست معي فالذكر منك هنا يرعاك قلبي وإن غيبت عن بصري

العين تفقد من تهوى وتبـــــصره وناظر القلب لا يخلو من النظـــــر[1]

وفيها يتشوق الشاعر إلى حبيب غائب عن ناظره ، وهي في متانة أسلوبها وتراكيبها وتنوع ، حداتها المعنوية ضمن العبارة الواحدة لا يجعلها قريبة من أسلوب شعر الخليل في قالبها ومضمونها مما يرجح عدم انتمائها إلى مجموع شعره .

3- القطعة الثالثة :

وتقع في بيتين هما :

ما ازددت في أدبي حرفا أسربه ألا تبينت حرفا تحته شوم

ان المقدم في حذق بصنعتـــــه أنى توجه فيها محـــــروم[2]

للبيتين حس علمي وزهدي وروح متواضعة نثرها الشاعر على أجزائهما مع تأكيد عدم الاكتفاء بالمنزلة العلمية مهما بلغت وهي في بساطة أسلوبها ووضوح فكرتها ومباشرتها أقرب إلى أسلوب الخليل من غيره .

4- القطعة الرابعة :

وتقع في خمسة أبيات هي :

ياجنة فاقت الجنان فـــما تبلغها قيمة ولا أثمـــن

ألفيتها فاتخذتها وطـــــناً إن فؤادي لحبها وطـــن

زوج حيتانها الضباب بها فهذه كنة وذا ختـــــــن

أنظر وفكر فيما تطيف به إن الأريب المفكر الفطن

من سفن كالنعام مقبلـــــة ومن نعام كأنها سفـــــن[3]

القطعة في وصف روضة جميلة الماء والخضرة تزينها السفن التي تشبه النعام .

وموضوعا يغني عن الخوض في تفاصيل الأسلوب إذ أق الخليل في عموم شعره لم يخصص للطبيعة بيتاً مستقلاً وسيرته تنبئ عن استقرار مكاني عرفه في حياته فلم تكن لديه عقدة وطن كما لم يعاني من غربة مكانية وكان همه الأكبر الدرس وحلقاته وهو لا يميل في شعره إلى الخيال الذي يزن هذه القطعة من خلال موضوعات الحكمة والزهد وحتى حين تنفس شعره بشيء من الغزل نراه يسلك الطريق التقليدي فيه .

على إن الأبيات أقرب في أسلوبها إلى أسلوب شعراء الأندلس حيث الرياض الوارفة والطبيعة التي ترسمها هذه الأبيات مما لم يغادرها شاعر أندلسي في شعره إلا وتعرض لها و هذا ما يبعد عن الانتساب لشعر الخليل .

---

(1) شعره / 392 .

(2) نفسه / 240 .

(3) نفسه / 240 .

5- القطعة الخامسة :

وتقع في بيتين هما :

قالت أتهزأ بي غداة لقيتها يا للرجال لصبوة العميـــان

فأجبتها نفسي فداؤك إنـما أذني وعيني في الهوى سيان[1]

إن فكرة الغزل التي يقوم عليها البيتان اللذان يحملان من الجرأة في مخاطبة المرأة مما لا يتصف به رجل كالخليل ويمكن أن يتصف بها رجل كالخمريمي الشاعر[2] ويمكن على ذلك أن تنسب إلى الخريمي أو غيره لأن نسبتها بهذا الأسلوب لا يمكن أن تكون إلى الخليل .

---

[1] شعره / 240 .

[2] ينظر ترجمة في تاريخ بغداد / 3319 .

الخاتمة ونتائج البحث

انتهت الدراسة لشعر الخليل بشقيها الأسلوبي والموضوعي وتمخضت عن جملة نتائج يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية :

- لقد كان لشخصية الخليل أثرها الكبير في نتاجه الشعري إذ طغت السمة العلمية والميل إلى الزهد والحكمة في عامة أشعاره .
- إن ما وصلنا من شعر الخليل لا يمكن أن يكون نتاج الولع بالفن الشعري أو نتاج موهبة حقيقية بقدر ما كان تطبيقاً لتنظيرات الخليل في علم العروض إذ إن معرفته بالعروض بوصفه واضع أسسه وضعت بيده آلة النظم (إن صح التعبير) فجاء شعره مطابقاً لمواصفات النظم وقواعده وخالياً من الحس الشعري الذي يفترض أن يميز أي نص شعري .
- ومما يثبت الهدف التطبيقي في شعر الخليل أنه غطى جميع البحور التي توصل إليها بما في ذلك البحر المتدارك الذي قيل أن الأخفش قد تداركه عليه وأنه لم يتوصل إليه مما يرجح بدوره أن يكون الخليل قد وضعه ونسب خطأ إلى الأخفش أو أنه ألحقه ببحر آخر معروف بسبب الزحافات والعلل وغيرها من الظواهر العروضية التي تصيب البحر وتفصيلاته .
- إن أسلوب الخليل في عموم شعره يكشف عن حقيقة ضعف الموهبة لديه ويؤكمد فكرة الهدف التطبيقي المشار إليه آنفاً فأسلوبه يتعكز على المقابلات المعنوية والميل إلى التقسيم الذي جعل شعره أقرب في سماته إلى النثر منه إلى الشعر وشيوع النزعة الخطابية والمباشرة عزز ذلك الأمر .
- يمكن القول أن شعره كان خلاصة لقدرته العروضية وأنه تطبيق عملي لقواعد العروض التي توصل إليها من خلال جهده المعروف .

مصادر الدراسة

1- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين – خير الدين الزركلي – ط3 – بيروت – 1969 م .
2- تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي . مطبعة السعادة – القاهرة – 1349 .
3- عشرة شعراء مقلون – صنعة د. حاتم الضامن – دار الحكمة – بغداد – 1990 .
4- علم العروض والقافية – د. عبد العزيز عتيق – ط2 – دار النهضة العربية – بيروت – 1967 .
5- فن التقطيع الشعري والقافية – د. صفاء خلوصي – المطبعة العصرية – بغداد – 1963.
6- معجم المؤلفين وتراجم مصنفي الكتب العربية – عمر رضا كحالة – مطبعة الترقي – دمشق – 1957 .
7- موسيقى الشعر – د. إبراهيم أنيس – ط1 – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 1972.